أزواجه أمهات المؤمنين كي يعبدوا الله في جواره وجوارها وفي القرب منه ومنها، ونطلب
منكم دليلاً واحداً على أن واحداً من الصحابة أو من آل البيت استقبل صلى الله عليه وسلم أو استقبل
بيته أو أحداً منهم التي تزار الآن فأقام هناك وقت دعاء أو صلاة أو صيام أو قراءة القرآن
أو قيامه بإحدى عبادات. فإن استطعتم أن تذكروا دليلاً واحداً من هذا النوع فقد الطمتم
حجتنا هذه. وإن عجزتم وهذا أمر لم تذكروا شيئاً من هذا ولن تذكروه فقد ثبتت الحجة
ووضح الحق وبطلت العلة [illegible] هذا أن ما قاله المخالفون في الأمر الأول
فما قالوا في الأمر الثاني بأن اعترفوا بأن السلف لم يكونوا يذهبون إلى رسول الله حياً كان أو
ميتاً لأجل العبادة عنده وفي القرب منه لأن ذلك لم يكن مشروعاً ولا مطلوباً وهو هذا
فالذهاب إليه في قبره وبعد موته وقصده بالصلاة والصيام والقراءة وأنواع العبادة مشروع
مطلوب. فقيل هذا لا يوافقهم عليه إنسان عاقل ممن يحترم عقله ودينه [illegible]
لأن الذاهبين إلى قبره والقائلين بالذهاب إليه بعد موته رجاء نيل البركات لا يشكون في أن
الذهاب إليه إنما شرع وطلب لأجل حلوله فيه أي في القبر ولأجل تشرف المكان بالكائن
فيه المكين. فالمقصود هو صلى الله عليه وسلم لا القبر والقبر إنما نال ما نال بالمجاورة والاستعارة
لا بالحقيقة والأصالة. وشرفه صلى الله عليه وسلم وبركته [illegible] ثابتان له حياً وميتاً
فإذا كان في القرب منه في قبره مشروعاً وبركة وأجر وثواب فلا بد أن يكون كل ذلك في
القرب منه حياً ولا ينازع فيها أحد من العقلاء. فالخلاف في هذا لا يحتمل أبداً فكل ما عم
أنه لم يورده المخالفون للتحلل من هذه الحجة والخروج منها باطل منهار فالحجة قائمة لا ريب فيها
ولا خصام. ولكننا أن نسوق هذا الدليل سياقاً آخر بأسلوب آخر فنقول: أنتم
تدعون أن قصد قبور الصالحين من الأنبياء والأولياء في حين القيام بالعبادات مشروع
ومطلوب وتدعون أن استقبال قبورهم والتوجه إليها حين الصلاة والدعاء مشروع
ومطلوب وتدعون أن العبادات بجوارها مما يرتضى ومما يضاعف الأجر والمثوبة
... فإذا قيل لكم كيف تستحلون تقولون هذه المقالة وتدعون هذه الدعوى في القبور
وهي لا تخرج عن أن تكون جماداً وأحجاراً وتراباً لا تمتاز عن سائر الجمادات والأحجار
والتراب قلتم إنها قد تشرفت بحلول الأنبياء والأولياء وصارت معظمة محترمة من
أجل ذلك الشيء الشريف المجاور ..... هذه هي حجتكم ودعواكم ونحن نقول رداً عليكم
ما تقولون في ترددكم في استقبال أصحابه يوم أن كانوا أحياء في قصدهم حين الصلاة
والدعاء وقراءة القرآن وحين القيام بسائر ضروب العبادات؟ وما تقولون في ترددكم في
من قد استقبل حين الصلاة أو دعاء أو ذكره أو أعماله الأخرى ولياً أو نبياً والتوجه
إليه وهو حي وجعله شطره وقبلته؟ وما تقولون في من يرى أن من الإسلام أن
يذهب إلى بيت الولي الحي فيطوف ويعتكف عليه ويدعو عنده ويصلي ويصوم
ويقرأ القرآن ويذكر ربه ويلتجئ إلى خالقه فإذا قيل له ما هذا؟ قال هذا التقرب
دين مشروع وسنة ممدوحة؟ وما تقولون فيمن يزعم أن من الإسلام أن يقصد
المسلمون الأولياء والأحياء إذا أرادوا أن يعبدوا الله فيستقبلوهم ويلوذوا بحجرهم ويحوطوهم
ويطوفوا بمكانهم ويعبدوا ربهم: ماذا تقولون في هؤلاء؟ إن قلتم إنهم مسلمون
مصيبون راشدون فقد خرجتم من العقل والدين وخالفتم البداهة والضرورة وإن قلتم إنهم ضالون
هالكون مبتدعون أو مشركون قيل لكم: أوليس أشد منهم من فعلوا ذلك وزعموه في
القبور والمقبور؟ بل والله والبرهان ظاهر باهر

البرهان الثالث: لو كان هذا الذي ذكره المخالف الخصم صحيحاً من طلب قصد القبور